الحسين عليه السلام

في سورة الأحقاف



◆ تأليف: السيد سامي البدري

المكتبة الحسينية الميسرة

٩

المكتبة الحسينية الميسرة

- ٩ -

الحسين عليه السلام

في سورة الأحقاف

الطبعة الثانية منقحة

١٤٣٣هـ - ٢٠١١م



تأليف : السيد سامي البدري



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

المكتبة الحسينية الميسرة (٩)



العنوان : الحسين عليه السلام في سورة الاحقاف

المؤلف : السيد سامي البدري - www.albadri.info

الطبعة : الثانية منقحة ١٤٣٣هـ ٢٠١١م - ٥٠٠٠ نسخة

الناشر : المؤلف

www.najafcf.com

التوزيع : مؤسسة تراث النجف الحضاري والديني - النجف الاشرف - حي الكرامة - هاتف : ٧٨١٨٠٨٤٥٥٣ ٩٦٤+ و ٧٧٠٧٩٦٩١٧٧ ٩٦٤+

اللهم اني اشهد ان الحسين : قد اعذر في الدعوة وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الضلالة والجهالة والشك والارتياب والعمى الى باب الهدى .

اللهم اني اشهد انك قد جعلت مواريث النبوة فيه /بعد ابيه واخيه/ ثم في ولده التسعة من بنيه ، وجعلتهم ائمة الهدى وكلمة التقوى والحجة على اهل الدنيا .

المحتويات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) ﴾ الأحقاف : ١٥ - ١٦

روى الكليني بسنده عن ابي خديجة عن ابي عبد الله عليه السلام قال لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسين جاء جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ان فاطمة ستلد غلاماً تقتله امتك من بعدك فلما حملت بالحسين عليه السلام كرهت حمله . وحين وضعته كرهت وضعه . ثم قال ابو عبد الله عليه السلام تكرهه لما علمت انه سيقتل . قال وفيه نزلت هذه الآية ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْه إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وحَمْلُهُ وفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾ . [١]

---

(١) الكليني، الكافي ج١ / ٤٦٤ .

تمهيد

اخبر القرآن الكريم بطريقته الخاصة عن قصة الحسين عليه السلام .

واشار الائمة عليهم السلام الى تلك الآيات من خلال الميراث العلمي الذي ورثوه عن جدهم النبي صلى الله عليه وآله .

من قبيل ما رواه ابن شهر آشوب في كتاب (المناقب) عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْ لا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج/٤٠ .

قال : نحن ، نزلت فينا .

وفي تفسير على بن ابراهيم وقوله عزوجل : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ قال : الحسين صلوات الله عليه وعلى جده وأبيه وامه واخيه وذريته وبنيه ، حين طلبه يزيد ليحمله الى الشام فهرب الى الكوفة وقتل بالطف .

وفي روضة الكافي عن ابن محبوب عن أبي جعفر الاحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى : ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾ قال نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وحمزة وجعفر ، وجرت في الحسين عليهم السلام أجمعين .

وفي مجمع البيان قال أبو جعفر عليه السلام نزلت في المهاجرين وجرت في آل محمد : الذين اخرجوا من ديارهم واخيفوا[٢] .

ونموذج ذلك كثير ومن ذلك سورة الاحقاف ، وسورة الفجر ، وغيرها .

الحسين عليه السلام في سورة الأحقاف

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا
حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا
وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا
حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ

(٢) راجع تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي ج ٣ ص ٥٠١ .

وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً

قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ

وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا

تَرْضَىٰهُ

وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ

إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ

وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ

وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ

فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ

وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

الآيات تتحدث عن انسان خاص

تتحدث هذه الآيات عن انسان معين، وليس عن كل انسان، لقوله تعالى: (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) اذ المعروف

ان الرضاعة وحدها في الحالات الاعتيادية تقدر بحولين كاملين فتبقى ستة اشهر ، والآيات تذكر ان هذا الانسان قد ولد لستة اشهر . مضافا الى ذلك ان الشكر على النعمة الالهية مطلوب من الانسان من عمر التكليف وليس حين يبلغ الاربعين سنة فقط ، مضافا الى ذلك ان الآيات تصرح بقبول عمل هذا الانسان وليس كل عامل عمله مقبول .

تفسير الآية في التراث السني

جاء في التراث الروائي التفسيري السني عن ابن عباس وعلي عليه السلام انها نزلت في ابي بكر وذريته .

قال القرطبي : وروي أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق وكان حمله وفصاله في ثلاثين شهرا حملته أمه تسعة أشهر وأرضعته إحدى وعشرين شهرا .(٣)

قال السيوطي وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أنزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله

(٣) تفسير القرطبي ١٦/١٩٣

عنه حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني الآية فاستجاب الله له فأسلم والداه جميعا وإخوانه وولده كلهم ونزلت فيه أيضا ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى﴾ إلى آخر السورة .

قال القرطبي : وقال علي رضي الله عنه هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره فأوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده .(٤)

تفسير الآية في التراث الشيعي

وفي التفسير الروائي الشيعي عن علي بن الحسين عليه السلام والامام الصادق عليه السلام انها نزلت في الحسين عليه السلام وتسعة من ذريته .

روى الكليني بسنده عن ابي خديجة عن ابي عبد الله عليه السلام قال لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسين جاء جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ان فاطمة ستلد غلاماً تقتله امتك من بعدك فلما حملت بالحسين عليه السلام كرهت حمله . وحين وضعته كرهت وضعه . ثم قال ابو عبد

(٤) تفسير القرطبي ج: ١٦ ص: ١٩٥.

الله عليه السلام تكرهه لما علمت انه سيقتل . قال وفيه نزلت هذه الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ووَضَعَتْهُ كُرْهًا وحَمْلُهُ وفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ . (٥)

وروى الكليني ايضاً رواية اخرى اكثر تفصيلاً وهي : عن ابي عبد الله عليه السلام قال :

ان جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه وآله فقال له يا محمد ان الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة تقتله امتك من بعدك .

فقال : يا جبرئيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله امتي من بعدي .

فعرج ثم هبط عليه السلام فقال : يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويبشرك بانه جاعل في ذريته الامامة والولاية والوصية ،

فقال : قد رضيت .

ثم ارسل الى فاطمة : ان الله يبشرني بمولود يولد لك تقتله امتي من بعدي .

فأرسلت اليه لا حاجة لي في مولود مني تقتله امتك من بعدك .

فارسل اليها ان الله قد جعل في ذريته الامامة والولاية والوصية

---

(٥) الكليني الكافي ج١/ ٤٦٤ .

فأرسلت اليه اني قد رضيت .

قال وفيه نزلت هذه الآية : ﴿وَ وَصَّيْنَا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فلو لا انه قال اصلح لي ذريتي لكانت ذريته كلهم ائمة .[٦]

وقد رواها الشيخ الصدوق ايضا في كتابه علل الشرائع .

الواقع التاريخي يؤكد ان الحسين عليه السلام وذريته مصداق الآية

والواقع التاريخي الذي جرى بعد نزول القرآن نجده لصالح الرواية الشيعية حيث ولد الحسين عليه السلام لستة اشهر ورضاعته اربعة وعشرون شهرا هذه ثلاثون شهرا كما اشارت الآية . وقد استفاضت بل تواترت الاحاديث عن جده النبي صلى الله عليه وآله في فضله .

---

(٦) الكافي ج١ ص٤٦٤ رواية ٤.

وتصدت الدولة الاموية لتشويه نهضته وتأطيرها باطار الخروج على امام الزمان ، وان من خرج على امام زمانه مات ميتة جاهلية ورووا عن النبي ﷺ كذبا انه قال (من خرج عن السلطان مات ميتة جاهلية) ، لتبرير قتله عليه السلام وسبي نسائه في مأساة لا نظير لها في تاريخ الاسلام ، واطبقت الامة على السكوت عشرين شهرا بعد الواقعة لا تسمع فيها من خطباء المنابر بعد صلاة الجمعة في كل الامة الاسلامية شرق الارض وغربها الا لعن علي والحسن والحسين

ثم تزلزلت الارض من تحت اقدام بني امية ، واستجاب الله تعالى دعاء الحسين عليه السلام :

حين بتر عمر يزيد ، ونزع رغبة الملك من قلب ولده معاوية فاستقال بعد اربعين يوما ، واختلف اهل الشام واقتتلوا على السلطة ، واقتتل اهل خراسان ، واقتتل اهل اليمن واهل البصرة ،

وامتازت الكوفة عن غيرها بان القتال كان فيها بين جبهة قاتلت الحسين عليه السلام وجبهة ترفع شعار الحسين للأخذ بثأره ممن كانوا في السجون من شيعته ، وبدأ النشء الجديد يتبرأ من بني امية ويترحم على الحسين وابيه واخيه عليهم السلام ، وينفتح على احاديث

النبيﷺ فيهم وفي امامتهم الالهية حتى سقطت دولة بني امية وانهار اعلامهم في الحسينعليه السلام تماما .

وتحول قبر الحسينعليه السلام الى مزار عالمي قل نظيره .

مضافا الى ذرية تنتسب اليه بعدد غفير يملأ الدنيا برز منهم تسعة ائمة في الدين تاسعهم ادعي لهم انه غائب وانه لا زال حيا ينتظر اذن الله له بالظهور ليملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وهي دعوى يحملها الشيعة ويملكون وسائل اثباتها لمن رام تحقيق النظر فيها .

وليس من شك ان هذه الامور بمجموعها تشكل ظاهرة خاصة بالحسينعليه السلام وذريته ، لا يملك ابو بكر وذريته شيئا منها على الاطلاق .

ويتضح من ذلك ان الرواية التي نسبت الى عليعليه السلام والى تلميذه ابن عباس ، وتقول ان الآية في ابي بكر وولده ليس لها شيء من الواقع التاريخي يصدقها ولو سلطنا البحث في اسانيدها لكشف البحث عن الوضاع الذي وضعها .

شرح الآيات

قوله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ﴾ :

وردت الوصية بالوالدين في آية اخرى : ﴿وَ وَصَّيْنَا الإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حُسْناً وَإِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما﴾العنكبوت/٨ .

والاحسان والحُسْن واحد ، والمعنى اننا امرنا الانسان بمعاملة والديه بالحسنى ، أي بالطاعة والموافقة لهما مادامت هذه الطاعة فيما امر به الله ونهى عنه . فاذا امراه بالشرك فلا طاعة ولا موافقة .

وحين يكون الجو العام هو تبنى الدولة لعن علي بصفته ملحدا في الدين ، واستعانوا بالكذب على النبي ؛ لتأييد ذلك وتكريسه ، ثم ملاحقة من يعتقد بإمامة علي ويروي الاحاديث الصحيحة عن النبي في حقه ، وانزلوا به اشد العقاب من تسميل الاعين وقطع الايدي والارجل ، والسجن ، والنفي ، والقتل ، وتهديم البيوت ، ومحو اسمائهم من ديوان العطاء على مرأى من الحسين ومسمع يترتب على ذلك ان ينهض الحسين ليضع حدا لذلك ،

والآية كأنها تشير الى وجود وصية وعهد من الله تعالى الى الحسين بان يبر والديه ، وليس من شك ان من البر هو رفع الظلم والحيف عنهما ، وليس من شك ان اكبر ظلم وقع على النبي هو الكذب عليه واكبر ظلم وقع على علي هو تشويه سيرته ؛ ليظهروه بمظهر المفسد في الدين ، وانه يستحق البراءة واللعن وملاحقة شيعته ،

وهذه الوصية تقررت يوم رأى النبي في المنام بني امية ينزون على منبره وساءه ذلك ولم ير بعدها مستجمعا ضاحكا ، وقد واخبره الله تعالى انه المنجي من فتنتهم هو نهضة الحسين وشهادته وظلامته .

قال تعالى :

﴿وَ إِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْياناً كَبِيراً﴾ الإسراء/٦٠ .

وروى السيوطي في الدر المنثور في تفسير عن ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن سعيد بن

المسيب قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى أمية على المنابر فساءه ذلك .

ولا بد ان النبيﷺ قد تحدث الحسين وهو ابن سبع سنوات بذلك ؛ ليستكشف رأيه ثم ابلغه الخبر الالهي ، والتقدير الالهي ومن الطبيعي ان يستجيب لجده ولربه كما استجاب اسماعيل لربه ولأبيه .

قوله تعالى ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ :

قال الامام الصادقعليه السلام قال لما حملت فاطمةعليها السلام بالحسين جاء جبرئيل الى الرسول اللهﷺ فقال ان فاطمة ستلد غلاماً تقتله امتك من بعدك فلما حملت بالحسينعليه السلام كرهت حمله . وحين وضعته كرهت وضعه . ثم قال ابو عبد اللهعليه السلام تكرهه لما عملت انه سيقتل .

قوله تعالى ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾:

روى الطبري قال : حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن أبي عبيدة قال : رفع إلى عثمان امرأة ولدت لستة أشهر ، فقال : إنها رفعت لا أراها إلا قد جاءت بشر أو نحو هذا ولدت لستة أشهر ، فقال ابن عباس : إذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر . قال : وتلا

ابن عباس : وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ، فإذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر . فخلى عثمان سبيلها .

اقول : بل الفتوى اساسا هي لعليؑ كما في الرواية الاتية .

روى الطبري قال : حدثني يونس بن عبد الاعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال ثني : ابن أبي ذئب ، عن أبي قسيط ، عن بعجة بن زيد الجهني ، أن امرأة منهم دخلت على زوجها ، وهو رجل منهم أيضا ، فولدت له في ستة أشهر ، فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، فأمر بها أن ترجم ، فدخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال : إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه : وحمله وفصاله ثلاثون شهرا . وقال : وفصاله في عامين قال : فوالله ما بعد عثمان أن بعث إليها ترد .[٧]

وروي أن امرأة دخلت على زوجها فولدت منه لستة أشهر ، فذكر ذلك لعثمان رضي الله عنه فأمر برجمها ، فقال له علي : قال الله تعالى ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ وقال في آية أخرى ﴿ وفصاله في عامين﴾ فوالله ما بعد عثمان أن بعث إليها ترد .[٨]

---

(٧) جامع البيان - ابن جرير الطبري ج ٥٢ ص ١٣١.

(٨) تفسير القرطبي - القرطبي ج ٦١ ص ١٢٠

اقول : والروايات الآنفة الذكر تخفيف لأصل الرواية اذ ان فتوى علي عليه السلام جاءتهم متأخرة وقد فرغ من المرأة ، كما في الرواية الاتية :

روى ابن كثير في تفسيره قال : قال محمد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهني قال تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر فانطلق زوجها إلى عثمان رضي الله عنه فذكر ذلك له فبعث إليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها فقالت وما يبكيك فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيقضي الله سبحانه وتعالى في ما شاء فلما أتي بها عثمان رضي الله عنه أمر برجمها فبلغ ذلك عليا رضي الله عنه فأتاه فقال له ما تصنع ؟

قال ولدت تماما لستة أشهر وهل يكون ذلك ؟

فقال له علي رضي الله عنه أما تقرأ القرآن ؟

قال بلى .

قال أما سمعت الله عز وجل يقول ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهرا﴾ وقال ﴿حولين كاملين﴾ فلم نجده بقي إلا ستة أشهر .

قال : فقال عثمان رضي الله عنه والله ما فطنت بهذا علي

بالمرأة فوجدوها قد فُرِغ منها .

قال : فقال معمر فوالله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه فلما رآه أبوه قال ابني والله لا أشك فيه قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة فما زالت تأكله حتى مات رواه ابن أبي حاتم .[9]

قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ :

بلوغ الاشد : هو الاحتلام كما في الروايات عن اهل البيت عليهم السلام وقد ذكرت الروايات السن التي يقع فيها الاحتلام وهي : اذا انهى ثلاث عشرة سنة ودخل في السنة الرابعة عشرة[10] ، وايضا ورد ان الاحتلام يحصل في ست عشرة سنة وسبع عشرة سنة وثماني عشرة سنة[11] ، وليس من شك ان السن المتعارفة هي خمس عشرة

(٩) تفسير ابن كثير – ابن كثير ج ٤ ص ١٦٩.

(١٠) بحار ج١٠٠ /١٦٢

(١١) بحار الانوار ج١٢/ ٢٨٤، ج١٣/ ٤٩.وفي تفسير الطبري ج: ٨ ص: ٨٥ وأما قوله حتى يبلغ أشده فإن الأشد جمع شد كما الأضر جمع ضر وكما الأشر جمع شر والشد القوة وهو استحكام قوة شبابه وسنه، فأما أهل التأويل فإنهم مختلفون في الحين الذي إذا بلغه الإنسان قيل بلغ أشده فقال بعضهم يقال ذلك له إذا بلغ الحلم ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمي قال أخبرني يحي بن أيوب عن عمرو بن الحرث عن ربيعة في قوله

سنة والدخول في السادسة عشرة .

قوله تعالى ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ :

اقول فيه احتمالان :

الاول : ان الاربعين سنة تحسب من ولادته . والمعنى ان هذا الانسان لما بلغ من العمر اربعين سنة قال قوله الذي ذكرته الآية .

الثاني : ان الاربعين سنة تحتسب من البلوغ أي عاش اربعين سنة بعد بلوغ الاشد ، فيكون المعنى ان هذا الانسان لما بلغ الخامسة والخمسين من عمره قال قوله الانف الذكر .

وليس من شك ان حمل الآية على المعنى الاول يجعل ذكر بلوغ الاشد زائدا ولغوا وهو خلاف ما يعرف عن القرآن من انه يحسب لكل حرف وكلمة حسابها بخلاف حملها على الاحتمال الثاني .

ولما كانت الآية /تبعا للرواية الواردة / تتحدث عن الحسين عليه السلام فهي اذن تريد ان تذكر عمره الشريف ولكنها تحاشت ذكره

حتى يبلغ أشده قال الحلم حدثني أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمي قال ثني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه مثله قال ابن وهب وقال لي مالك مثله حدثت عن الحماني قال ثنا هشيم عن مجاهد عن عامر حتى يبلغ أشده قال الأشد الحلم حيث تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال آخرون إنما يقال ذلك له إذا بلغ ثلاثين سنة.

بشكل صريح جدا لمنهج وحكمة عرف بها القرآن عند حديثه عن الاشخاص[١٢].

ومن الثابت تاريخيا ان الحسين عليه السلام حين قتل يوم عاشورا سنة ٦١ هجـ كان ابن الخامسة والخمسين وشهور فمن المؤرخين من جعله ابن خمس وخمسين سنة واربعة اشهر وسبعة ايام، وقد وردت رواية في ذلك رواها ابن سعد في طبقاته، ومنهم من جعله ابن ست وخمسين واشهر كما عند غيره.

قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾:

أوزعني ان اشكر: أي اجعلني مولَعا بشكرك يا رب.

نعمتك التي انعمت عليَّ: هي نعمة الاصطفاء والاجتباء ومن مظاهرها الطهارة، واذهاب الرجس، وضمان اجابة الدعاء ووراثة العلم[١٣]، والتوكيل الالهي بحفظ الرسالة. وقد كان الحسين عليه السلام احد افراد آية التطهير، واحد افراد اية المباهلة. واحد

(١٢) فهو مثلا لم يذكر اسماء اهل البيت عليهم السلام في آية التطهير، ولم يذكر اسم علي(ع) في آية التبليغ ولم يذكر اسم الوليد بن عقبة في آية النبأ ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ﴾ الحجرات/٦ ونظائر ذلك كثيرة.

(١٣) وقد قد ورد عن سعدبن ابي وقاص قوله تذكر قصة المباهلة.

افراد اية القربى . ثم هو احد الاوصياء وورثة العلم الذي كتبه علي عليه السلام بإملاء النبي صلى الله عليه وآله .

قوله تعالى ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ :

هما علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله وقد انعم عليهما بنعمة الاصطفاء بالطهارة وانعم على النبي بالنبوة وعلى علي بالإمامة . نظير قول يعقوب ليوسف ﴿وَكَذلكَ يَجْتَبيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْويلِ الأَحاديثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلى آلِ يَعْقُوبَ كَما أَتَمَّها عَلى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْراهيمَ وَإِسْحاقَ﴾ يوسف/٦ .

قوله تعالى ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا﴾ :

لما كان الحسين عليه السلام بعد هلاك معاوية قد رفض بيعة يزيد ، وهو الاحسان الذي تفرضه الوصية بالوالدين ، اذ كيف يتوقع ان يبايع الحسين عليه السلام لنظام جعل من اوليات سياسته التربوية والدينية لعن علي عليه السلام بوصفه ملحدا في الدين ، وعلي عليه السلام ولي الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله بنص كلام النبي صلى الله عليه وآله في غدير خم (الله مولاي وانا مولى المؤمنين فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من ولاه وعاد من عاداه وانصر من نصرة واخذل من خذله) .

ثم ان رفض البيعة يستتبعه مواقف اخرى تنسجم معها من

قبيل اعلام الناس باحاديث النبي ﷺ في حق علي عليه السلام وهي ممنوعة ويستلزم الحديث بها تعريض المتحدث بها الى ما لا يتصور من العذاب والنكال . كما يستلزم ذلك ان يعرض الحسين عليه السلام نفسه الى القتل ولا يقتل دون ان يقتل احباؤه معه . وليس من شك ان هذا العمل سوف تختلف فيه انظار الناس فيه بين مؤيد ومعارض و(الناس عبيد الدنيا والدين لعق على السنتهم يحوطونه ما درت معايشهم فاذا محصوا بالبلاء قل الديانون) .

اذن المرحلة تقتضي ان يتوجه الحسين عليه السلام الى ربه يدعوه ؛ لكي يوفقه الى عمل صالح لا تشوبه شائبة . عمل صالح على غرار عمل جده النبي ﷺ حين نهض بأمر الله تعالى ليحرر دين ابراهيم من بدع قريش المشركة ، وعمل ابيه علي عليه السلام حين نهض بوصية من النبي ﷺ ؛ ليحرر دين محمد ﷺ من بدع قريش المسلمة . والان عليه ان ينهض بوصية من النبي ﷺ ؛ ليحرر دين الله من بدع بني امية .

(اريد ان آمر بالمعروف وانهي عن المنكر واسير بسيرة جدي وأبي علي ابن ابي طالب).

(اني رأيت رسول الله في المنام وقد امرني بأمر وانا ماض له) .

وقد تميزت حركة الحسين عليه السلام منذ يوم اعلانها في مكة بالامتناع عن بيعة يزيد ، وبقي هذا الموقف واحدا وقد كلفه حياته وحياة من معه من اهل بيته واصحابه ، وسبي نسائه الى الشام .

قوله تعالى ﴿ تَرْضَىٰهُ ﴾ :

أي تتقبله ، بان تظهر اثره في الدنيا قبل الاخرة ؛ لان القضية قضية احياء دين وشريعة في المجتمع ، لتبقى حجة الله قائمة على البشر .

قوله تعالى ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ﴾ :

قال الامام الصادق عليه السلام : فلو لا انه قال اصلح لي ذريتي لكانت ذريته كلهم ائمة . ولا يبعد ان الدعاء من الامام الحسين كان ليلة العاشر من المحرم حيث كان ولده علي قد اشرف على الهلاك ، بسبب مرضة بالذرب ، وهو الذي اقعده عن الحرب ، فهو دعاء يخص ولده عليا ؛ لشفائه بوصفه الوصي بعده نظير دعاء زكريا لإصلاح زوجته ؛ لأنها كانت عاقرا وكانت امرأة صالحة ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نادى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنا لَهُ وَوَهَبْنا لَهُ يَحْيى وَأَصْلَحْنا لَهُ زَوْجَهُ

إِنَّهُمْ كانُوا يُسارِعُونَ فِي الْخَيْراتِ وَيَدْعُونَنا رَغَباً وَرَهَباً وَكانُوا لَنا خاشِعِينَ(٩٠)﴾ الأنبياء/٨٩ـ٩٠.

ومن المفيد جدا ان نقارن بين دعاء الامام الحسين عليه السلام هذا ودعاء سليمان عليه السلام في قصته مع النمل قال تعالى:

﴿وَ لَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً وَقالاَ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) ووَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَقالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وحُشِرَ لِسُلَيْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّى إِذا أَتَوْا عَلى وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ يا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (١٨) فَتَبَسَّمَ ضاحِكاً مِنْ قَوْلِها وَقالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلى والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩)﴾ النمل/١٥ـ١٩.

ان النبي سليمان هنا يشكر الله تعالى على نعمة الاصطفاء التي منَّ بها عليه وعلى والديه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وكان من مظاهر هذا التفضيل هو العلم ومنه علم منطق الطير ومنه طاعة الجن والطير والريح له . ووالداه هما داود و يعقوب جده وجد ابيه وهو الاصل في النعمة الخاصة لبني اسرائيل .

واللافت للنظر ان سليمان لم يطلب من الله تعالى ان يصلح له في ذريته مع كثرتهم ، والملاحظ على هذه الذرية انها لم يبعث منها نبي بعد سليمان ، ولم يبرز منهم امام هدى ، وما ورد من نسب عيسى الى سليمان بواسطة يوسف النجار باطل ؛ لان عيسى خلقه الله تعالى من غير اب ولم يكن يوسف النجار ابا له حتى يتصل عن طريقه الى سليمان . ولم يدع سليمان بان يصلح الله تعالى في ذريته لا خبار الله تعالى اياه انه لم يقدِّر ان يكون فيهم اصفياء فلا ينبغي ان يدعو بمثل ذلك الدعاء وهذا يفسر قوله تعالى حاكيا عن سليمان :

﴿قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ص/٣٥ .

أي لا يورث من قبل ذريته اذ لا يوجد فيهم صفي لله تعالى ومن هنا كان وارث علمه شخص آخر ليس من ذريته وهو الذي وردت قصته مع عرش ملكة سبأ :

﴿قالَ يا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠)﴾ النمل/٣٨-٤٠ .

وكان هذا الشخص الذي عنده علم من الكتاب هو وارث سليمان وهو اصف بن برخيا .

قوله تعالى﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ :

أي اني رائح اليك مؤثر الحياة عندك على الحياة مع الظالمين ، واني منقاد لامرك حيث امرتني ان اكون بارا بوالديَّ حينما ارى دينهما وسيرتهما تتعرض للتحريف وقد اخذا على العهد ان انهض لمقاومة ضلالة بني امية . وتعبير التوبة لا يشير انه كان

مذنبا في نفسه بل يوحي انه كان ملوما من الآخرين حينما رأوا الحسين عليه السلام قد سكت مدة عشر سنوات بعد وفاة الحسن عليه السلام ، ومعاوية يعيث في دين الله تعالى فسادا ، ويلاحق عباد الله يقتلهم ويسجنهم ويشردهم .

وقد اشار عليه السلام في رسالته الى معاوية بعد ان قتل حجر بن عدي وصحبه الابرار ونمي الى معاوية ان وجوه اهل العراق وجوه اهل الحجاز يختلفون الى الحسين عليه السلام ، وانه لا يؤمَن وثوبه ، وكتب معاوية اليه يحذره فكتب الحسين عليه السلام رسالة مفصلة جاء فيها :

"ما اردت لك حربا ولا عليك خلافا **واني لاخشى الله في ترك ذلك منك ومن الاعذار فيه اليك والى اوليائك الفاسقين الملحدين حزب الظلمة** ، اولست القاتل حجر بن عدي اخا كندة واصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستفضعون البدع ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الله لومة لائم . . . **ولاني لا أعلم فتنة على هذه الامة اعظم من ولايتك عليها ولا اعظم لنفسي ولديني ولامة محمد افضل من ان اجاهدك فان فعلت فإنه قربة الى الله تعالى وان تركته استغفر الله لديني واسأله توفيقه . . .**" .

قوله تعالى﴿ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ :

أي المنقادين لأمرك انقيادا تاما ، يريدﷺ الاشارة الى انه ما سكت في عهد معاوية الا بأمره تعالى الذي وصله عن طريق وصية جده النبيﷺ وما قام في وجه يزيد بن معاوية الا بأمره تعالى الذي وصله عن طريق وصية جده النبيﷺ .

والحسينﷺ احد افراد قوله تعالى ﴿وَ جاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ الحج/٧٨ .

وقوله تعالى ﴿وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَواعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْماعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنا مَناسِكَنا وَتُبْ عَلَيْنا إِنَّكَ

أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ البقرة/١٢٧-١٢٩ .

قوله تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ :

وهذا اعلان من الله تعالى انه تقبل من الحسين عليه السلام احسن عمله وهو بذله نفسه في الله تعالى . واظهر قبوله لعمله في الدنيا فلم يحظَ نبي ولا وصي نبي بما حضي به الحسين عليه السلام من ظهور قبول عمله من الله وحين رزق اتباع يملؤون الدنيا وذرية طيبة منهم تسعة ائمة اعلام هدى .

قوله تعالى﴿ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ :

أي محو السيئات التي نسبت اليهم ، وشوهت صورتهم بها من خلال الاعلام الاموي الى حالة حسنة في المجتمع . وهذا هو الذي حصل في الواقع فقد تبدلت سريعا تلك النظرة السيئة التي كونها الاعلام الاموي ؛ لتبرير قتل الحسين عليه السلام وسبي نسائه الى الشام وتحولت الى ذكر حسن وصار الحسين عليه السلام وصحبه يضرب بهم المثل الطيب في الجهاد وفي الفداء بما لم يحظ غيره بمثله .

قوله تعالى ﴿ فِىٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾ :

أي مضافا الى ذلك الذكر الحسن فهو واهل بيته وصحبه الذين استشهدوا معه في الجنة . هذا الوعد المذكور في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَموالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعابِدُونَ الْحامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآْمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) ﴾ التوبة/١١١-١١٢ .

والآية تشير الى امور عدة :

منها : الإخبار بانهم يقتُلون ويقتَلون .

ومنها : الوعد لمن يقتل منهم ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ .

ومنها : البشرى للمؤمنين بان قتلهم سوف ينتج انتصار رسالة الله ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

ومنها : الصفات الممتازة لهؤلاء المؤمنين

﴿التَّائِبُونَ

الْعابِدُونَ

الْحامِدُونَ

السَّائِحُونَ أي الصائمون .

الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ

الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَالْحافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ﴾ .

وقد صدقها الواقع التاريخي ، فقد جاء في قصة مقتل الحسين عليه السلام ان جيش بني امية لما تحرك ظهر يوم التاسع يريدون جوابا من الحسين عليه السلام ويخيرونه واصحابه بين البيعة ليزيد او القتال ثم القتل لامحالة ، ارسل اخاه العباس وقال له :

(إن استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار) .

ومنها : ان خبر هؤلاء المؤمنين والوعدين لهم في التوراة والانجيل والقرآن ﴿وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ وسيأتي تفصيل ذلك في حلقة قادمة ان شاء الله تعالى .

السيد سامي البدري
النجف الاشرف
محرم الحرام سنة ١٤٣٢